حجاجية الاستعارة في مواعظ الحسن البصري
مقاربة تداولية حجاجية

د/ فاطمة علي الألمعي (*)

ملخص البحث

يندرج هذا البحث في سياق المقاربة الحجاجية لبعض التراكيب الاستعارية في خطاب الحسن البصري الوعظي؛ إذ شغلت الاستعارة الدارسين؛ فعرَّفوها، وذكروا أنواعها، وعددوا وظائفها، وشرحوا قرائنها باستفاضة تعكسها كتب النقد والفلسفة والأدب والبلاغة وأصول الفقه، وقد جاءت النظرية الحجاجية الحديثة لتبين أنّ الاستعارة ليست مجرد وضع للكلمة في غير ما وضعت له، بل هي إلى ذلك استعمال شديد الصلة بالعقل الإنساني، وبقدرته على استيعاب الوضع المغاير للمعنى المتداول، وعلى بناء أنساقه المعرفية والرمزية؛ وعليه فوظيفتها تتجاوز البعد الفني الجمالي لتكون واحدة من أهم آليات الحجاج؛ تستخدم للتأثير في المتلقي، وحمله على الاقتناع بأطروحة الباثّ، وعلى تعديل سلوكه أو رؤيته ومعتقده بما يتناسب مع تلك الأطروحة؛ لذا كانت الاستعارة محورية في النظرية التداولية، وذات قيمة في الكشف عن المعاني؛ لتعلقها بكل أطراف الخطاب: باثه ومتلقيه، وما يحيطهما من سياقات مخصوصة، ومرجعيتهما وما يجمعهما من معارف مشتركة؛ فالاستعارة تفصح عن عقود ضمنية تجمع مكونات الخطاب. ونظرا إلى أن اللغة في النظرية التداولية نفعية، وتُستعمل لتحقيق مقصدية، وإقامة حجة؛ فقد تناولت الاستعارة من هذا المنظور، وبحثت في

(*) أستاذ مساعد – كلية اللغة العربية – جامعة الإمام محمد بن سعود – المملكة العربية السعودية.

وظائفها الحجاجية، وقدراتها التأثيرية، ولأن الاستعارة الحجاجية ذات أنواع شتى؛ فقد انتخبت منها استعارتي الثواب والعقاب.

ولأن الخطاب الوعظي خطاب يقوم على "الترغيب والترهيب"[1] ويدعمهما بالحجج المناسبة لتحقيق مقاصد الواعظ الهادف إلى إيجاد معنى قار واحد؛ اخترت المقاربة الحجاجية لدراسة نماذج من التراكيب الاستعارية الدائرة على معنيي الثواب والعقاب في خطاب الحسن البصري الوعظي. وكان مدار البحث على الأسئلة التالية:

_ ما متضمنات القول التي حولت الاستعارة في خطاب البصري عن الوظيفة الفنية الأدبية المحض لتكون وظيفتها حجاجية تأثيرية أساسا؟

_ كيف استثمر الخطاب الوعظي المنطوق الاستعاري للتأثير في الاتجاه العقلي والأيديولوجي للمتقبل؟

– كيف نجحت استعارات الثواب والعقاب في تحقيق مقصدية الباث؟ ومن ثمة كيف عالجت الرؤية التداولية المنطوق الاستعاري؟

الكلمات المفتاحية : التداولية /الحجاج/ الاستعارة / الخطاب الوعظي / الثواب والعقاب

١) يفيد هذان المصطلحان التراثيان معنى قريبا من معنى الحمل على الاقتناع الذي يدل على الوظيفة الأساسية للحجاج،

Argumantative Metaphor in Preaching Discourse of AL-Basri: pragmatic and argumantative approach

Intellectuals are preoccupied with metaphor; So, they defined it, refuted its types, enumerated its functions, and explained its presumptions at length that touched upon books of criticism, philosophy and literature. Metaphor is not just placing the word in something other than what it was placed for, but it is a use closely related to the human mind, and its ability to comprehend the situation that is different from the common meaning.

Receiving it reflects the nature of the human mind that received it, its relationship to existence around it, and its ability to build its symbolic systems. Therefore, metaphor was central to pragmatic theory, and valuable in revealing meanings; Because it relates to all the parties of the discourse: its transmitter and recipient, the specific contexts that surround them, and the common knowledge that unites them.

The metaphor discloses implicit contracts that gather the components of the discourse, and to reveal them is to reveal the entire discourse. This holistic view contradicts those who merely monitored similarities (similarity theory) or were limited to clarifying the interaction between the focus and the frame (in the manner of interaction theory). Therefore, I preferred the deliberative theory as a method to approach the blog.

Since the language in the pragmatic theory is utilitarian, and it is used to achieve an objective and establish an argument, it dealt with metaphor from this rich side, and examined its argumentative functions and saw its influence.

Since the preaching discourse is an effective one, presenting arguments, and achieving an objective, whose goal is to find a single, persistent meaning, I chose it as a blog that responds to the deliberative research tool and meets the goal of the conference, which revolves around metaphor and its role in building discourses and shaping human perception. And that is through the elucidation of the duality of reward and punishment, which invested metaphor as a means to achieve its persuasive goals.

In order to be precise, Abi Al-Hassan Al-Basri's sermons were devoted to the approach in an attempt to answer some questions; Most notably:

- What are the pragmatic dimensions in the metaphorical structures Alhasan Al-Basri used in preaching speech ?
- What are the implications of the statement that transformed the metaphor in Al- Basri's speech from a purely artistic and literary function to its function being essentially an argumentative and influential one? And how did the metaphor succeed in achieving the speaker's intention?
- How did the preaching speech use metaphors to influence the mental and ideological direction of the recipient?
- How did the metaphorical of reward and punishment succeed in achieving the speaker's purpose ? How did the pragmatic vision resolve the metaphorical structure

Keywords: deliberative / metaphor / preaching discourse / reward and punishment

المقدمة

رغم كثرة الدراسات التي أُنجزت حول الاستعارة فإن بريقها لا يزال يحفّز الكتابة فيها؛ سواء على مستوى الإبدال اللغوي، أو على مستوى الإبدال المعرفي. فالاستعارة قوة قولية؛ ترفد المعنى وتؤثر في المتلقي؛ ومن هنا جاءت أهميتها في الدرس الحجاجي وهو يتغيا إخضاع المتلقي لسلطة الباث بقوة القول. لقد أدخل شارل بيرلمان تجديدا مهما في التصورات المتداولة حول الاستعارة انتقلت لفعله من وضع "المحسن اللفظي والأسلوبي" ضمن البلاغة الجمالية إلى وضع المقوم الحجاجي ضمن البلاغة الجديدة، وهي تنتمي إلى الصنف الذي يراه شارل بيرلمان "مبنينا للواقع" بمعنى أنه بعيد بناء الواقع وفق علاقات يبنيها الباث دون أن يكون لها مرجعية في الواقع.

ولأن الخطاب الوعظي خطابٌ معنيٌ بالتأثير؛ وهو موجّه من باث يعظ إلى متقبل مستهدف بالوعظ فإنه خطاب حجاجي بالضرورة، فقد استثمر طاقة الملفوظ الاستعاري، وقدرته على الإبهار والإقناع، ووظفه توظيفًا يستحق إنعام النظر؛ إذ قرّب به بين المتخاطبين، وذلك عندما قرّب لهم المعاني البعيدة لا سيما الغيبية، وأقام عليه أسلوبي الترغيب والترهيب؛ فذلّل بذلك سبل الوصول إلى قناعاتهم.

وعليه فالدراسة تهدف إلى تسليط الضوء على نجاعة استعارتي الثواب والعقاب في الاستعمال الحجاجي، وأهميتهما في تقويته وتدعيم أركانه؛ عن طريق تتبع عملهما داخل مدونة من مدونات الخطاب الوعظي، الذي يرتكز على الحجاج، ويستعين باستعارتي الثواب والعقاب في إيصال غاياته؛ فالخطاب الوعظي في أبسط تعاريفه: "هو تذكيرك للإنسان بما يُلَّينُ قلبَه من ثوابٍ وعقاب"(١).

(١) لسان العرب، ابن منظور، ٤٦٦/٧.

ولأن مواعظ الحسن البصري ذات مرجعية إسلامية واضحة، وفكر عقدي شديد الصلة بالمنهج القرآني، علاوة على جزالة لفظها، مع وضوحه، وسهولة مأخذه؛ انتخبتها الدراسة، فتتبعت ما جاء فيها من ثواب وعقاب سيق داخل ملفوظ استعاري، ورصدت ما يقارب الثمانين استعارة؛ سواء أكانت من ملفوظ الواعظ، أو مما استشهد به في تضاعيف أقواله من القرآن أو الحديث أو أقوال الصحابة أو الشعر[١]. فالدراسة لم تقتصر على ملفوظ الواعظ فحسب؛ لأنها تهتم بتبيين قدرة استعارتي الثواب والعقاب على محاججة المتلقي، ومن ثم استدراجه نحو قناعات الباث، لا على رصد فصاحة الواعظ وبلاغة أساليبه مما أُفردت لبحثه كثير من الدراسات النقدية؛ فمشكلة البحث انبثقت من محاولة الإجابة على السؤال الآتي: كيف استثمر الخطاب الوعظي المنطوق الاستعاري للتأثير في الاتجاه العقلي والأيديولوجي للمتقبل؟

وللإجابة على هذا السؤال اعتمدت الدراسة على الدرس الحجاجي المنبعث من الدرس التداولي؛ إذ إنه القادر على تبيين قدرة الاستعارة على إقناع المتقبل بالقول؛ مهما قسى فكان عقابًا، أو شمله الغموض وبعد الإدراك فكان ثوابًا. وعند تحليل الاستعارات اعتمدت الدراسة على ما أتيح من أدوات بلاغية تُعنى باللغة في ذاتها، أو بالمفاهيم العرفانية التي تربط الفكر باللغة، وتجعل الاستعارة حاضرة في كل مجالات حياتنا اليومية، ثم أتت على المقصدية محط اهتمام الدرس التداولي.

وعليه انبنى البحث على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، ثم مسرد بالمصادر والمراجع؛ بيانها على النحو الآتي:

---

١) اعتبر أرسطو في كتاب "الخطابة" أن الشاهد نوع من أنواع الاستعارة الحجاجية ، ر. أرسطو، كتاب الخطابة، ترجمه وقدم له وحقق نصوصه د. إبراهيم سلامة، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٠، صص ١٥٥-١٥٦.

المقدمة.

التمهيد: في مفاهيم البحث.

–المبحث الأول: حجاجية استعارات الثواب والعقاب في خطاب الحسن البصري الوعظي المقتبسة من القرآن الكريم ومن الحديث النبوي الشريف.

– المبحث الثاني: حجاجية استعارات الثواب والعقاب المُنشأة إنشاءً قوليًا في خطاب الواعظ.

–المبحث الثالث :حجاجية استعارات الثواب والعقاب المُنشأة بأفعال الواعظ لا بأقواله.

–الخاتمة.

–المصادر والمراجع.

وجاءت أجزاء البحث في تراتبية بدأت من العام إلى الخاص؛ إذ حقق كل جزء فيه تخلصًا ينبئ بالانتقال دون المساس بالوحدة العضوية التي تربط أطراف البحث، فالحديث عن الخطاب الوعظي ينقلنا إلى ضرورة الحديث عن الحجاج أهم وسائله، والحجاج في الخطاب الوعظي حجاج لطيف يستميل المتلقي ولا يرغمه؛ لذا يحرص على توظيف الاستعارة لا سيما فيما يورده من ثواب أو عقاب، وإثبات ذلك يتجلى في مباحث البحث الثلاثة التي تناولت استعارات الثواب والعقاب داخل الخطاب الوعظي للحسن البصري بالتحليل، ثم الخاتمة التي أجملت ما جاء في البحث وتضمنت بعض التوصيات والنتائج.

أما عن الدراسات السابقة فكثيرة؛ منها ما يهتم بمدونة الحسن البصري؛ فيدرس مضامينها، راصدًا علائقها بالعقيدة، والتشريع، والبلاغة، والأدب، وما إلى ذلك، أو يدرس لغتها، فيستخلص أساليب البلاغة وأفانين القول المختلفة. وهناك دراسات أخرى تفيض بها المكتبة العربية حول المنهج التداولي، والحجاج، والاستعارة الحجاجية، وما إلى ذلك مما لا يمكن حصره. ومع التدقيق ظهر

للباحثة بحثان وثيقا الصلة بموضوع البحث محل الدراسة؛ الأول بعنوان: (من بلاغة الاستعارة في أقوال الحسن البصري) لحسن محمد الشريف، درس فيه الاستعارة معتمدًا على نفس مدونة البحث، وقسّم دراسته بناءً على مقامات القول؛ فجاء الفصل الأول: استعارات في مقام النصح والإرشاد، والفصل الثاني: الاستعارة في مقام الحكمة، والفصل الثالث: الاستعارة في مقام التحذير من الدنيا. ورغم التماس الظاهر مع موضوع الدراسة؛ فإن هدف البحث، ومنهجه، وطريقة تناوله، والاستعارات المختارة مغاير لما جاء في البحث محل الدراسة. ومن الدراسات السابقة التي يجدر إيرادها دراسة بعنوان: (القصدية والسياق في مفارقة الثواب والعقاب في السور المكية (ثنائية الكفر والإيمان نموذجا) لأسماء الدسوقي، والبحث هنا يلتقي مع الدراسة في مفارقة الثواب والعقاب الواردة في عنوانه، لكن بتصفحه يتبدى تركيزه على القصدية والسياق، وتسليطه الضوء على مفارقات الكفر والإيمان، وبعده عن الاستعارة وحجاجيتها محل اهتمام هذه الدراسة.

تمهيد

في المفاهيم

١. في مفهوم الخطاب الوعظي:

إن اختيار الخطاب الوعظي مادة لدراسة الاستعارة دراسة حجاجية لم يكن عفويًا أو محض صدفة، بل كان دقيقًا مقصودًا؛ فالوعظ في أبسط تعريفاته خطاب يُراد منه الحث على تعديل السلوك والاعتقاد بما يتناسب مع المرجعية الدينية والأخلاقية للواعظ. وبما أن هذه الدراسة تتوسل بالمقاربة الحجاجية، وهي مقاربة تهتم بحجاجية الخطاب، أي بالآليات التي يتوسل بها حتى يؤثر ويحمل على الاقتناع، فقد وجدت هذا الخطاب مناسبًا للمقاربة. وضمن الآليات الخطابية الأوفر حضورًا في الخطاب الوعظي نجد الاستعارة، وقد استُثْمرت استثمارًا كاملًا في خدمة مقاصده وأغراضه، بل باتت الاستعارةُ وما ينسل عنها من فروع، وما يؤدي وظيفتها من فنون البيان المختلفة ركيزةً أساس في تشكيل الخطاب الوعظي، سيما وأن ما يقدمهمن معانٍ وأوصاف تدور _غالبًا_ في حقل المتخيل الذي لم تره عين بشر. هذا المسوغُ الذي علَّلت به اختيار المدونة، دفعني إلى محاولة وضع حد لهذا الجنس النثري يُجلي العلاقة التي تربطه بالاستعارة، ويفصله عما قد يتلبّسُه من خطابات أخرى كالوصية والنصيحة والرسالة، لكن البحث في الماهية، ومحاولة وضع حدٍ للجنس الأدبي بحثٌ دقيق؛ يستلزمُ أدواتٍ شتى، ويطرحُ إشكالاتٍ تتعلق بالشكل والنشأة والمقصد والوظيفة...وغيرها مما سيخرُج بي عنْ الهدف الأساس، علاوةً على ما يَعْتَرِي نظرية الأجناس الأدبية من مسائل ومعوقاتٍترمي بالمستقصي في دوامة لا نهائية من المفارق تتُنْتجها المناهجُ المختلفة، والمقاربات المتفاوتة، وأوجه النظر المتباينة.

لذا سأقصر القول في تحديد جنس الخطاب الوعظي على ما انتهت إليه معاجم اللغة، ومن ثمَّ سآتي على بعض ما اختصره المهتمون بتعريفه من أقوالٍ جاءت

متساوقة المضامين؛ ففي لسان العرب "الوعظ والعظة والموعظة: النصح والتذكير بالعواقب، قال ابن سيده: هو تذكيرك للإنسان بما يُلين قلبه من ثوابٍ وعقاب"(١)، وفي معجم مقاييس اللغة: الوعظ التخويف، وعن الخليل: التذكير بالخير وما يرق له قلبه(٢).وفي المصباح المنير: "أمره بالطاعة ووصاه بها"(٣)، وعنهم استلَّ صاحبُ معجمِ النقدِ العربي تعريفَه للموعظةِ فكرَّر ما جاء عند ابن منظور وابن سيده(٤)محددًا بتعرفيهما هُوِيَّةَ المصطلح التي فارقَ بها غيرَه من خطاباتٍ تتماس مع جنسه الأدبي.

وكذلك فعلَ المناوي مضمنًا تعريفَهُ ما جاء عند ابن سيده؛ فقال: هو "إهزازُ النفس بموعود الجزاء ووعيده"(٥)، والجرجاني عرَّفه بذكر أثره في القلوب والعيون والجوارح؛ فقال: " الموعظةُ هي التي تُلَّينُ القلوبَ القاسية، وتُدمع العيونَ الجامدَة، وتُصلح الأعمال الفاسدة"(٦)، أما ابن الجوزي فقد جعله قصرًا على التخويف؛ فقال: الوعظُ" تخويفٌ يرقُ له القلبُ"(٧)،وقد حصر الدكتور السفياني تعريفه في ثلاث سمات؛ فقال: "الخطابُ الوعظي خطابٌ مؤثر (يُلينُ القلوبَ، يُدمِعُ العيون، يهُز النفوس).

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، ٤٦٦/٧.

(٢) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٦/ ٩٦.

(٣) المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٨٧م، ٢/ ٦٦٥.

(٤) معجم النقد العربي، د. أحمد مطلوب، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٩م، ص٣٨٣.

(٥) التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبدالرؤوف المناوي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٠هـ، ٧٢٨/١.

(٦)التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، دار الكتاب العربي، بيروت،١٤٠٥هـ، ٣٠٥/١.

(٧) كتاب القصاص والمذكرين، عبدالرحمن بن علي ابن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٩هـ، ص ١٦٢.

الخطاب الوعظي أمر (ترغيب).
الخطاب الوعظي نهي (ترهيب)"[١].

ثم قدَّمَ سؤالا جديرًا بالنظر؛ مختصره: كيف يحدث التأثير الذي تبدى جليًّا عند من اهتم بتعريف الوعظ_ في خطاب يقوم على ثنائية الترغيب والترهيب وأداتيهما الأمر والنهي؟[٢]

وقد تشعب في الإجابة وأشفى؛ إذ شغلت الإجابة من حيز كتابه جزءًا، ومختَصرُها أن التأثير يعود إلى أدبية الخطاب الوعظي[٣]، التي أزعمُ أنها لم تُقصد لذاتها وقت إنتاج الخطاب؛ فالخطابُ دُبج في خدمة مقاصد أبعد ما تكون عن الأدبية أو في طلبها؛ إذ أُنشئ في سبيل تحقيق معرفة كاملة بمقاصدَ دينية تُزاوج بين الدنيوي المجسد والغيبي المجرد، ثم أُنزلت هذه المقاصدُ في قوالبَ مختلفة، توسلت في بعضها بأساليب القول الأدبية؛ من دوالٍ تُعنى بالمعاني، إلى فنون بديعية يزهو تحت وقعها الصوتُ، إلى صور تشخيصيةٍ تُعنى بتقريب البعيد وتجسيد المجرد وإخراجه في هيئة المحسوس المشاهد؛ "الأمرُ الذي ينعكس في مخيلة القارئ ويتحولُ إلى مجموعةٍ من الأحاسيس المختلفةِ؛ من مثل: الإعجاب والدهشة والرغبة والخوف ... هذه الأحاسيس تتحول مباشرة إلى مواقف وسلوكات؛ من قبيل: ضرورة طاعة الله عز وجل طلبًا لرضاه، ثم الجنة، وتجنبًا لسخطه ثم النار"[٤]، وهذا شأن الخطاب الوعظي، الذي يتوسل بإثارة

(١) الخطاب الوعظي مراجعة نقدية لأساليب الخطاب ومضامينه (دراسة استطلاعية)، عبدالله بن رفود السفياني، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، ٢٠١٤م، ص ٣٢.
(٢) انظر: الخطاب الوعظي مراجعة نقدية لأساليب الخطاب ومضامينه، ص ٣٣
(٣) الأدبية مصطلح يستعصى ضبطه في حدود ثابتة؛ فهو متغير ما تغير الزمان.
(٤) الحجاج العاطفي في كتاب التوهم للحارث المحاسبي، محمد الوردي، فكر العربية، العدد ٤–٥، ٢٠١٧م، ص٧٦.

مشاعر المتلقي ونوازعه الانفعالية؛ ليمتثل طوعًا لمتضمنات القول التي تدور في فلك الترغيب والترهيب، ثم ومع تغير الزمن دخلت هذه النصوص في الأدب.

وانتسابُها للأدب شأن عام في وصف الأقوال عند بعض المنظرين؛ من أمثال النظريات الظرفانية التي تمتاز عن غيرها من النظريات في ضبطها لمفهوم الأدبية؛ "بانفتاحها على الاختلاف والتنوع في الكلام الأدبي؛ لأنها ليست سلسلة سؤال الماهية ما الأدب؟ وإنما يؤسسها سؤال الظرفية أو الحالية: متى يكون كلامٌ ما أدبيًا"(١)، "فمفهومُ الأدبِ يكونُ رهين الأدوات والمداخل المصطنعة في المقاربة أكثرَ مما هو رهين الموضوع المقارب"(٢)، بل "إن عددًا من النصوص والآثار ينشأُ خارج الأدب ثم بعد زمن يتأدب؛ تؤدبه القراءة، ويجيزه المنهج"(٣)، مثلما هو الحالُ مع نصوص الوعظ التي جاءت من عصور الأدب القديمة بوصفها نصوصًا عقائديةً دينيةً؛ فلم تكن معدودةً في الأدب زمن نشأتها، ثم ومع تقادم العهد بدأَ يُنظر إليها بوصفها كلامًا ساميًا ذا مكانةٍ عاليةٍ معنًى ولفظًا، وبدأت مقاماتُ التقبلِ تنحرفُ عن الاكتفاء بالنظر في المقاصدَ الشرعية إلى رصد أدبيتها، والتسويغ لقدرتها على الإقناع والاستمالة؛" فاختيارُ موضوع الدراسة الأدبية يرتبطُ بالمقام الفعلي الذي اختير فيه، فقد نتناولُ نصًا تاريخيًا لندرس فيه التاريخ، لكنْ قد ننظرُ في هذا النص من جهة صيغته القصصية فيتأدب النص بطريقة القراءة وبالوجهة التي منها نقرأ النص"(٤)، وهذا يُسوّغ تنوع الدراسات المعنية بمواعظ الحسن البصري: فمن دراسات تاريخية إلى أخرى فقهية، ومن

(١) الدراسة الأدبية للكرامة الصوفية: أسسها، إجراءاتها، رهاناتها، فرج بن رمضان، مطبعة سوجيك، صفاقس، ط١، ٢٠٠٧ م، ص ١٩٥.

(٢)انظ: الدراسة الأدبية للكرامة الصوفية، ص ١٩١.

(٣) الوصايا الأدبية إلى القرن الرابع هجريا مقاربة أسلوبية حجاجية، عبدالله بهلول، الانتشار العربي، بيروت، ٢٠١١م، ص ٢٠.

(٤)قراءات في القصص، محمد الخبو، مكتبة علاء الدين، صفاقس، ٢٠٠٢م، ص ٢٧.

رصد لشروحه في تفسير بعض آيات القرآن الكريم، وروايته لبعض أحاديث النبي صل الله عليه وسلم، إلى قراءات في أفانين القول لديه. ومن القراءات الأخيرة تنسل دراستي هذه، وقد وجّهتُها نحو أدبية هذا النوع من الخطابات، وهي أدبيةٌ أسهمتْ عواملُ كثيرةٌ في تشكلها، كان أبرزها اعتماد المدونة على إستراتيجيات خطابية تزيد من قوة تأثير الموعظة، وتمكّنها من استدراج المتلقي، وممارسة سطوة تضمن تقبله للأمر والنهي تحت وطأة الترغيب والترهيب، وباستثمار الاستعارات الدائرة في فلك ثنائية الثواب والعقاب، التي تضمن استجابته؛ مما يدخلها في صميم الخطاب الحجاجي العاطفي، فبناؤُها قائمٌ على طلب ترفده حجة، وغايتُها تأثيريةٌ إقناعية، وأساليبُها في مجملها جماليةٌ تخيلية.

فالخطاب الوعظي خطاب حجاجي يتوسل في بناء حججه بأساليب تضمن له أن يكون أكثر وقعًا في القلب، وأعلق بالتأثير الوجداني الانفعالي منه بالعقل؛ لذا يستعين بصنوف البيان ويوظفها في إيصال أفكاره، لا سيما الاستعارة القائمة على تقريب المعاني المجردة التي يزخر بها الخطاب الوعظي، وما يتعلق به من وعود غيبية وعواقب مضمرة بعيدة عن عالم الحواس الذي يعيشه المتقبل فـ"تقيم الصور والتمثيلات ضربًا من الترابط والتواصل الذي بمقتضاه تنصهر قيم العقل مع القلب، وتتمازج ملكات الإحساس مع المنطق"[(١)]، فهذه الصور وأهمها الاستعارة ترفد العملية الحجاجية، وتُؤمن بفضل طاقاتها التأثيرية مرورًا سلسًا تنفذ من خلاله المقاصد عوالم المتلقي الفكرية والشعورية والانفعالية على حد سواء؛ فالاستعارة الحجاجية "تهدف إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي للمتلقي"[(٢)]، ودراستها بوصفها تقنية من تقنيات الخطاب الإقناعي أهم ما يمكن

---

(١)الحجاج بين المنوال والمثال، نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري، د.علي الشبعان، مسكيلياني للنشر، تونس، ٢٠٠٨م، ص ٦٥.

(٢) اللغة والخطاب، عمر أوكان، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠١م، ص ١٣٤.

النظر إليه في الدرس التداولي،دون إغفال لجانبها الجمالي الذي منحها الفاعلية بداية على أقل تقدير.

٢.في مفهوم الاستعارة الحجاجية

"لقد دفع بيرلمان الحجاج إلى أقصاه، ووسع من إمبراطوريته بجعله ساريًا فيما بين الإنسان وبين نفسه، وكان من أثر هذا التصور أن جرى المصطلح في الاستعمال في تركيب نعتي؛ إذ أصبحنا نتحدث عن حجاج منعوت بالمجال الذي يتنزل فيه، وذلك من قبيل: الحجاج الخطابي، وغير الخطابي، والحجاج الفقهي، والحجاج القضائي، والحجاج الفلسفي، وغيره من المصطلحات التي يمكن أن يوسم بها"(١)، إذا أضفنا لهذا الامتداد التوسعي في استعمالات الحجاج ومجالاته اهتمام بيرلمان بصهر الحواجز بين شكل العبارة ومحتواها؛ فالملفوظ بكل ما يحمله من أساليب، ومجازات، وجناسات، واستعارات ذو طبيعة حجاجية أمكننا إفراد الاستعارة الحجاجية بالدرس، زد على ذلك الدور الإقناعي البيّن الذي تنهض به الاستعارة، وتلتقي فيه مع الحجاج الذي يتغيا؛ مثلما جاء في تعريف بيرلمان وتيتيكاه– إلى: "جعل العقول تُذعن لما يُطرح عليها من آراء، أو أن تزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجع الحجاج ما وُفّق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب، أو يجعلهم يمسكون عنه، أو هو ما وُفّق _على الأقل_ في أن يجعل السامعين مهيئين لإنجاز ذلك العمل في اللحظة المناسبة"(٢)، ولم تكن الاستعارة الحجاجية وليدة مباحث الدرس الحجاجي الحديث؛ إذ سبقهم تنبه الجرجاني لقوة وفاعلية الاستعارة الحجاجي؛

---

(١) الوصايا الأدبية، ص ١٠٠.

(٢) الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبدالله صولة، بيروت، لبنان، دار الفارابي، ط٢، ٢٠٠٧م، ص٢٧.

فأقامها على مبدئي الادعاء والاعتراض؛ مما أدخلها في صلب الملفوظ الحجاجي وعنه تشكلت الاستعارة الحجاجية عند طه عبدالرحمن؛ فشرح ما أجمله الجرجاني لا سيما نظرية التعارض، التي ألمح إليها الجرجاني إلماحًا استعصى إدراكه حتى عند بعض البلاغيين أمثال السكاكي، وفسَّر ما غاب عمن تلاه من نقاد قدحوا في نظريته، ووَصَفَ(أي: طه عبدالرحمن) الجرجاني" بواضع أصولها ورائد مجهولها"(١)، وتحدث أيضًا عن فاعليتها في توجيه الخطاب، والدفع بالمتلقي إلى الانتهاض بالعمل، وذلك باعتمادها على المستعير منه الظاهر أو الغائب، الذي يقترن بنسق من القيم العليا، فيكون الخطاب الاستعاري بذلك ادعى من خطاب الحقيقة في استدراج المتقبل، وأبطل أيضًا دعوى من قصر بعض أنواع الاستعارات على التخييل فحسب وإدراك الجمال(٢)، وفيما ذهب إليه من إنكار اقتصار بعض أنواع الاستعارات على الجمال معقولية؛ تسوغها رغبة باث الاستعارة الجمالية إثبات بلاغته، ونبوغ قوله، وتمكنه من لغته، وهو بهذه الدافعية يضمر مقصدًا حجاجيًا ينقل به الاستعارة من مجال التأثير الجمالي _فحسب_ إلى حجاجية تجمع إلى الجمال نفعًا.

والسؤال: كيف تقوم الاستعارة بهذا الدور الإقناعي؟

تستطيع الاستعارة الإقناع بسبب ما تحدثه من مزج بين المستعار له والمستعار منه؛ يقول أوليفي روبل:" الاستعارة أكثر إقناعًا من القياس؛ وذلك تحديدًا بفضل المزج الذي تحدثه بين المستعار منه والمستعار له، جاعلة بذلك توحد العناصر المنتمية إلى أنظمة مختلفة أمرًا مدركًا"(٣)، ولعل هذا المبدأ هو ما أشار إليه

(١) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د. طه عبدالرحمن، المركز الثقافي العربي، المغرب، الرباط، ١٩٩٨م، ص ٣١٠.

(٢) انظر: اللسان والميزان، ص ٣١٣.

(٣) مدخل إلى الخطابة، روبل أوليفي، ترجمة: رضوان العصبة، مراجعة: حسان الباهي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠١٧م، ص ١٩.

الجرجاني في أثناء تفريقه بين الاستعارة والتشبيه؛ فجعل المستعار له والمستعار منه في لفظ واحد، وجعل قصد التشبيه مطويًا في النفس، وسُميت نظريته بالمبدأ النفسي أو مبدأ التوهم(١).هذا التوهم في اندماج المجالين اللذين جاءا من عوالم متباينة يُشرك المتلقي قسرًا في عملية الإبداع؛ إذ إليه ستوكل مهمة بسط المعنى، وفصل المزج بين المستعار منه والمستعار له، ومن ثم التوصل إلى كنهه العلاقة التي ربطتهما؛ مما يجعل من المتلقي مشاركًا في استظهار المعنى، والوصول إلى المقصد؛ وهذا يكفل استجابة تعلو التلقي المباشر للمعاني، "فالسمات الدلالية المحتفظ بها في عملية التخير الدلالي، الذي تقوم عليه الاستعارات هي سمات قيمية"(٢)، هذه الآليات التي تضطلع بها الاستعارة داخل الخطاب؛ جعلتها تتبوأ أعلى درجات السلم الحجاجي _أحد أهم مفاهيم الدرس الحجاجي _مقارنة بالقول المباشر الخالي من الاستعارات، وأعلى _أيضًا_ من الملفوظ المتضمن لغيرها من أفانين البيان؛ إذ سيأتي في درجة أقل من خطاب تضمن حجاجًا استعاريًّا.

أما البحث في صلة الاستعارة الحجاجية بالخطاب الوعظي فمفض إلى سؤال مركزي مداره على الطريقة التي يمكن بها تليين القلوب، وكسب التأييد، وإنزال المتلقي طوعًا تحت سلطة الخطاب، وضمان استجابته: بالبكاء أو التوبة عن الذنب، وكل هذا من شأنه أن يحدث في ظل حجاج انفعالي، يتوسل بصنوف البيان ولا سيما الاستعارة، التي ظهرت بأنواعها المختلفة في الخطاب الوعظي: في مقدماته، في نتائجه، لكن الذي يهتم له البحث؛ هو: ظهورها في حجج الثواب والعقاب.

---

(١)أسرار البلاغة، عبدالقاهر الجرجاني، اعتنى به مصطفى شيخ مصطفى وميسر عقاد، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ١٤٢٨هـ، ص ٢٣٢.

(٢) الاستعارة والحجاج، ميشيل لوجيرن، مجلة المناظرة، ترجمة: طاهر عزيز، المغرب، عدد ٤، ١٩٩١م، ص ٨٨.

هذه الثنائية التي ظهرت بوصفها رادعًا ومحفزًا، تجلى في علوم العقيدة والأديان، رغم استعمالاتها في علوم التربية، والاجتماع، والإدارة، إلا إنها في الأديان تحضر بوصفها سنة من سنن الوجود الإنساني، تربط بين الإنسان وأفعاله، ما ظهر منها وما احتجب؛ فخطؤه معاقب عليه في الدنيا أو الآخرة، وصوابه مُثاب عليه في الدنيا أو الآخرة. واستشعار هذه الحقيقة حاجة إنسانية لا غنى للإنسان عنها؛ لذا كانت أصل في تكوين سائر العقائد والديانات، حتى أشد الناس مادية وأبعدهم عن حقيقة وجود الله تظهر لديهم هذه الثنائية في صور وأشكال مختلفة؛ فيرتبط لديهم الثواب والعقاب بأفعالهم، ونتائج أفعالهم، وترنو نفوسهم لجنان الأرض، التي لا جوع فيها ولا مرض، بل تجدهم يركنون إلى العلم ومكتشفاته وحلوله ويتوقعون بتقدمه أن تُنشأ جنانهم. ورغم حاجة الإنسان لاستشعار وجود ثواب وعقاب لا سيما عندما يُظلم؛ فيجد نفسه تحت وطأة من لا يرحم؛ من: عدو يتسلط، أو مرض يستفحل، أو فقد يؤلم، إلا إن الإلحاح في التذكير بهما من شأنه أن يقود النفس إلى الإنكار عنتًا وتكبرًا، وهذا مما يُخشى به انصراف الخطاب الوعظي عن هدفه الأساس؛ فإذا بالموعظة قد انقلبت تهديدًا، والإقناع صار إكراهًا، والانقياد صار نفورًا.

إن الثواب والعقاب حجتان لهما على النفس أثر واضح؛ لذا لابد للواعظ أن يُحسن توظيفهما في خطابه الحجاجي، بحيث يستميلان المتقبل ولا ينفرانه، وهذا ما جعل الخطاب الوعظي يتوسل بالاستعارات قالبًا يُنزل فيه حجتي الثواب والعقاب، وكذا كان فعل الحسن البصري في مواعظه، التي جاءت فيها استعارات الثواب والعقاب وقد وُظفت داخل البناء الحجاجي بأشكال مختلفة، وقد رصدت الدراسة ما يقرب من مجموع خمسين استعارة في حجة العقاب، وثلاثين استعارة في حجة الثواب، كان يمكن سردها في نوعين لا ثالث لهما اعتمادًا على مضمون الاستعارة الحجة، لكن التداخل بين مصادر الاستعارات في الخطاب

الوعظي جعلني أقسمها اعتمادًا على مصدر الاستعارة الحجة لا على نوع الاستعارة المبني على مضمونها؛ سيما أن التمييز بين معاني الثواب والعقاب بدهي لا يحتاج تفصيلًا يُعين على استظهاره؛ وعليه جاءت الاستعارات (الثواب/العقاب) مبثوثة في ثلاثة أشكال، ضابط الشكل مصدر الاستعارة، وتحديد مكان الشكل منتزع من كثرته داخل مدونة البحث، فهناك _أولًا_ الاستعارات المقتبسة بلفظها من القرآن الكريم أو من الحديث النبوي الشريف، وهناك _ثانيا_ الاستعارات التي أنشأها الحسن البصري في خطابه الوعظي إنشاءً، وهناك _أيضا_ الاستعارات التي أنشأها فعله رحمه الله، وقد وزعتها على مباحث ثلاثة كما سيتبين لاحقا.

المبحث الأول

حجاجية استعارات الثواب والعقاب في خطاب الحسن البصري الوعظي المقتبسة من القرآن الكريم ومن الحديث النبوي الشريف

وهو الطاغي ولا غرابة في ذلك؛ فالحسن البصري حافظ مفسر للقرآن الكريم، ينطق بما جاء فيه، ويتمثله في سكناته وحركاته؛ "روي في الخبر: أن عائشة – رضي الله عنها– سمعت الحسن يتكلم؛ فقالت: من هذا الذي يتكلم بكلام الصدّيقين؟"(١)، وقوامه اقتباس الاستعارة الحجة بلفظها من القرآن الكريم، أو من قول الرسول صلى الله عليه وسلم، وهنا تجتمع في الخطاب حجتان: حجة الشاهد القولي، التي تنصهر فيها حجة النموذج وحجة السلطة، إضافة إلى حجة الاستعارة التي تنسل من الحجج المؤسّسة لبنية الواقع مما يبوئ هذا الشكل أعلى درجات السلم الحجاجي؛ إذ تسهم سلطة النص المقتبس في الرفع من قيمة المخاطب وخطابه، لا سيّما عندما يكون نصًا قرآنيًا تواتر المتقبل على التصديق به والأخذ منه، فاستحضاره بوصفه حجةً جاهزة(٢)تعلو أي حجة؛ يزيد من قيمتها انبلاجها من مصدر هو محل إجماع. وجاءت هذه الحجج التي تستبد بالمدونة وتُقتبس من مصدر مقدس داخل المواعظ في تراتبيات متنوعة؛ ضابطها موقع الحجة من الطلب، وتُظهرها الأمثلة التالية:

١. جاءت هذه الاستعارات _غالبًا_ بوصفها حججًا قبل التصريح بالطلب، وفي سياق التفسير لبعض آيات القرآن الكريم؛ مما زاد من مماهاة الوعظ داخل الخطاب؛ مثل:

---

(١)آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه، ص٢٣.

(٢) من ضمن مصطلحات أرسطو، والحجة الجاهزة؛ هي: وجدت قبل الخطاب، ودور المخاطب توظيفها بما يتناسب مع نصه.

_"تلا [الحسن قوله تعالى]:{ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}[المطففين:١٤]؛ فقال: هو الذنب على الذنب حتى يموت ويسودّ القلب"(١).

فالحسن البصري وفي سياق التحذير من تكرار الذنوب اعتقادًا في سهولة التوبة عنها؛ يحاول تفسير (ران) التي جاءت في كتب التفسير بمرادفات عدة؛ من مثل: الإحاطة بالقلب مع كل ذنب، أو الانقباض الذي يزيد، وفُسرت _أيضًا_ بمكان وخزة الإبرة، التي تحول القلب إلى منخل عندما تتكاثر الذنوب، وهناك من جعلها رديفة لـ(غلب، غطى، ووقع فيما لا يستطيع الخروج منه، صدأ ....). أما تفسير الحسن الوارد في الخطاب فقد استلهمه مما روي عن الرسول _صلى الله عليه وسلم_ في تفسيرها؛ فقال: إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر الله وتاب صقل قلبه، فإن عاد زيد فيها حتى تعلو على قلبه، وهو الران الذي ذكر الله في كتابه: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } [المطففين:١٤](٢).فالفعل (ران) هنا يمثل بؤرة استعارة، تنقل المعنى من مجال الهدف (جوانح من كثرت ذنوبه) إلى مجال المصدر (اللون الأسود)، الذي يزداد طرديًا بزيادة الذنوب، ويقل بقلتها، وكشفت الاستعارة مقصدية الخطاب القرآني، التي تمثل النتيجة الحجاجية المطلوبة من سوق الحجة؛ فالذنب الصغير الذي يستسهله الإنسان قادر عندما يتكرر وأمثاله على طمس القلب، وتحويله إلى سواد يُعمي البصيرة؛ فينحرف بصاحبها إلى مسالك الهلاك، والحل يكمن في المسارعة إلى التوبة، التي تنظف القلب، وتصقله،

(١)آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه، الإمام جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي، تحقيق: سليمان الحرش، دار النوادر، سوريا–لبنان، ٢٠٠٨م، ص ١٠٢.

(٢) تفسير القرطبي، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٤م، ص٥٨٨.

وتعيده إلى حيث كان. وفي هذه الاستعارة تم توظيف الدلالات الرمزية للون الأسود، وهي دلالات سلبية ومخيفة، فهو لون الظلام وظلمات القبر والجهل، وهو لون الظلم والموت والحزن والشر، ومن ثمة فهو لون يستجمع رمزيا كل ما يخافه الإنسان وما يفرّ منه، وهذه الاستعارة تُصنّف تمثيلية (بلاغيا)؛ إذ ترصد صورة التحول من البياض الذي يمز إلى كل المعاني الإيجابية من الخير والنور والحياة والعلم والهداية، إلى السواد بكل دلالاته السلبية والمخيفة، وتسمى (عرفانيا) استعارة مادية، وهي مما كثر تداوله؛ فهي تنقل المجرد إلى المادي؛ مما يساعد على تخيله واستيعاب تفاصيله، وحققت الاستعارة مقصدية الواعظ في التحذير من التسويف، وضرورة المسارعة إلى التوبة، فتأجيل الإقلاع عن الذنب يرفع نسبة الوقوع في غيره؛ لأن تكرار الذنب يحوّل القلب إلى سواد يمنعه من التمييز ويطمس بصيرته.

_ "وقرأ: {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ}[الأعراف:١٣٧]، ثم قال: عجبا لمن يخاف ملكًا أو يتقي ظالمًا بعد إيمانه بهذه الآية؟! أما والله لو أن الناس إذا ابتلوا صبروا لأمر ربهم؛ لفرّج الله عنهم كربهم، ولكنهم جزعوا من السيف؛ فوكلوا إلى الخوف، ونعوذ بالله من شر البلاء"(١).

فاللفظ (تمَّت) "استعارة؛ لأنه لا نقص هناك يحتاج إلى تمام، وإنما المراد إنجاز الوعد المتقدم لبني إسرائيل بإهلاك عدوهم وإعلاء أمرهم، وإنما سمي الإعجاز تمامًا؛ لأن به تمام النعمة وكمال المتوقع"(٢).

(١)آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه، ص ٩٨.

(٢) تلخيص البيان في مجازات القرآن، الشريف الرضى، تحقيق تقديم د. علي محمود مقلد، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ص ٧٦.

فكان ثوابهم حصول ما وعد الله به بني إسرائيل من معاقبة فرعون وأهله؛ وهو معجزة عظيمة تتعالى على التصديق، وعلى المعتاد في سير الأمور؛ لا سيما مع ملك في تجبر فرعون وقوة سلطته، ومع ذلك فحدوث هذه المعجزة ليس أكثر من التمام الذي يتسم به الفعل الإلهي، وتدبر المتلقي في الاستعارة (تمت) يدله على مدى الضعف الذي هو فيه أمام قوة الله _عز وجل_فما يراه معجزة تفوق الممكن هي من تمام الفعل عند الخالق _تعالى_ وهذا يدفع المتلقي إلى التسليم الكامل لله مهما نزل به من مصاب، فانتقام الله وأجره يفوق ما يتصوره أو يتمناه؛ لذا كان التسليم له والتيقن من نصره _مهما طاله من ظلم_ حاجة ملزمة أرادها الواعظ من خلال المجيء بهذه الاستعارة.

_ "وقرأ: {كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ}[النساء:٥٦]، فاضطربت ركبتاه وجرت دموعه؛ ثم قال: روي أن النار تأكل لحومهم كل يوم سبعين مرة، ثم يقال لهم عودوا فيعودون، اللهم إنا نعوذ بك من النار، ومن عمل نستوجب به النار"(١).

في سياق وصف حال أهل النار تتنزل هذه الاستعارة، التي تُنجز وعيدًا شديدًا لكل من كفر واستحق نار جهنم، فعقابه يتسم بالديمومة؛ إذ إن نار جهنم رغم شدتها لا تذيب جسده أو تزهق روحه مثلما تفعل نار الدنيا، وذلك بأمر الله الذي يجدد جلودهم جلودًا جديدة تتألم وتذبل، وتتكرر العملية؛ لتدلّ على معنى الخلود في النار واستمرار العذاب الأليم.

إن الاستعارة هنا هي استعارة تبعية مادية، نقلت معنى الضيم الدائم الذي لا ينتهي أمده من مجاله المجرد إلى مجال مادي يميزه المتقبل ويعيه، لتحقق مقصدية الترهيب من نار جهنم، والرد على كل من ساوى بينها وبين نار الدنيا؛ فالآية ترصد الاختلاف، وتنقله في صورة تبعث الخوف والرهبة. وبما أن

(١) آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه، ص ٩٧.

الاستعارة الحجاجية تقوم أساسا على التخييل فتستدعي صورا أو مشاهد إما من العالم الطبيعي أو من المخزون الثقافي الرمزي، فإن هذه الاستعارة قد استحضرت أبشع الصور التي يقوم عليها المتخيل الديني الإسلامي وغير الإسلامي الخاص بالعقاب الأخروي. فالجلد الذي "ينضج" بفعل النار عقابا على الذنوب المقترفة يحول العقوبة الأخروية من معتقد قائم على متخيل رمزي إلى صورة مادية حتى يكون تأثير الاستعارة أوقع في النفس وأقدر على إحداث الاستجابة المتوقعة من الباث، ثم تأتي بقية مكونات المشهد المتخيل الذي أضافه البصري إلى الاستعارة القرآنية لتؤكد درتها الحجاجية، فالنار الآكلة واللحم البشري المأكول الذي يستبدل بجلد جديد كلما نضج ليتكرر العقاب نفسه كل يوم سبعين مرة، مشاهد جزية تكون المشهد الكلي القائم على التخييل المركب وعلى توظيف طاقته الحجاجية وقدرته الإقناعية بحمل المتلقي على الانقطاع عن أي فعل يمكن أن يؤول به إلى هذا المصير الفاجع.

ونلحظ هنا وصفًا لتلقي البصري للآية؛ فقد (اضطربت ركبتاه وجرت دموعه)؛خوفًا مما جاء في الآية الكريمة، وهذا يرصد الأثر الذي تركته الحجة على الواعظ نفسه، الذي عُرف بالاستقامة والزهد؛ مما يحفّز مشاعر الخوف لدى المخاطب الذي لا يرقى في التقوى رقيه؛ فيندفع إلى عقد مقارنة بين حاله وحال الواعظ، تنتهي بتبني خوف الواعظ وأكثر؛ فإذا خاف البصري العابد العاكف من نار جهنم، فما حال من كثرت ذنوبه وخطاياه؟!وهذا يكفل تحقق المقصدية التي وُصف لأجلها عذاب النار المتجدد الدائم. ومن هنا نتبين أن القيمة الحجاجية للاستعارة لا تتأتى من اللفظ وحده أو من الصورة المفردة بل وكذلك من خلال ما يلحق بالصورة المركزية من صور تتفرع عنها حتى تصنع مشهدا متكاملا ظهر

هنا في هيئة أنموذج رمزي للعقاب الأخروي المتجسد في نار جهنم.[1] وهنا تظهر كذلك حجة الإيتوس(Ethos)التي ترفع مستوى التقبل، وقد تناولها البحث ورصد علاقتها بالاستعارة في المبحث الثالث.

٢. وقد تأتي الاستعارة الحجة من شاهد قولي، بعد طلب صاغه الواعظ، ويصرح بهما: (الطلب والحجة)، "وهذا الجنس كثير في كلام القدماء والمحدثين، وهو أحسن ما يتعاطى من أجناس صنعة، ومجراه مجرى التذييل لتوليد المعنى، وهو أن تأتي بمعنى، ثم تؤكده بمعنى آخر يجري مجرى الاستشهاد على الأول والحجة على صحته"(٢).

والمتأمل في خطاب الحسن الوعظي يلحظ تواتر صيغتي الأمر والنهي، وهو تواتر ينسجم مع الخطاب الوعظي الذي يقوم على الترهيب والترغيب مقصدًا وعلى الأمر والنهي أسلوبًا لغويا، وعلى نظام من الحجج من بينها الحجج البلاغية ورأسها الاستعارة. فالموعظة في جوهرها طلب يُراد به نتيجة، وعمل قولي يترتب عليه عمل فعلي، وقد سقت من الأمثلة ما اشتملت حجته على استعارة وإلا فالمدونة تزخر بالطلب.

ولئن قامت مواعظ الحسن البصري على نصوص شواهد مستعارة من القرآن الكريم أو من الحديث النبوي، وهي نصوص تحتوي بدورها الاستعارة الأساسية التي عليها مدار الخطاب الوعظي، فإن البصري كثيرا ما يضيف إليها من العناصر الاستعارية ما يحول الاستعارة إلى مشهد تخييلي مركب من أكثر من صورة كما هو الشأن في ما سبق وفي الاستعارة اللاحقة المبنية على سجن اللسان منعا له من إتيان سيء القول الذي يجر بدوره إلى سيء المصير، جاء

---

١) الثواب والعقاب في كتب تفسير القرآن، زينب التوجاني، منشورات مؤمنون بلا حدود، الرباط، ٢٠١٩.

(٢) أبو هلال العسكري، الصناعتين، الفصل الحادي والثلاثون، في الاستشهاد والاحتجاج .

في النص: "سمع [الحسن] رجلا يكثر الكلام فقال: يا ابن أخي أمسك عليك لسانك؛ فقد قيل: ما شيء أحق بسجن من لسان. وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **وهل يكبّ الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم** ".[١]

تبدأ الموعظة بنداء أحد مخصوص بالنداء كان يكثر الكلام، أمره الواعظ بالإمساك، ومن شأن التخصيص بالموعظة أن يحرج الموعوظ، فعلل أمره بما يرفع الحرج عن المتلقي، وألقى باللائمة على اللسان الذي يجدر بصاحبه أن يسجنه، ثم أوعز الأمر كله إلى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم؛ محققًا بإيعازه فائدتين؛ الأولى: التنصل من حرج إلزام المخاطب؛ فالأمر ليس منه، والثانية: وجوب الالتزام بما جاء في الموعظة، وبذل الجهد في سجن اللسان؛ فعقوبة المتهاون جاءت بدليل من السنة النبوية، وعليه ساق الواعظ قولا للرسول _صلى الله عليه وسلم_ يتضمن عقوبة شديدة الألم، وقرّبها الهدي النبوي إلى الأفهام بتصوير مشهد من استسهل نتائج سوء القول، (فهل يكب ....إلا حصائد). وقد جاء في تفسير الاستعارة "كلام الألسنة كحصائد المناجل، وحصد المنجل جزه، والمنجل حديدة حادة يقلم بها البيطار حافر الفرس؛ فعلى هذا حصيدة اللسان طرفه"[٢]، فطرف اللسان منجل يلتف على صاحبه، ويرميه في نار جهنم. لقد تحول اللسان من مجاله بوصفه عضوا يخدم صاحبه، ويهبه حجة وتمكينًا إلى مجال آخر؛ فقد حولت الاستعارة اللسان إلى أداة تجتث جسد صاحبها وتلقي به في النار، أي: تحول اللسان إلى أداة للعذاب، وسبب في العذاب. استعارة إنطلوجية مادية نقلت المعنى المجرد إلى عالم المادة المعلوم

(١) آداب الحسن، ص٤٣.

(٢) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي، المكتبة العنصرية، بيروت، ١٤٢٣هـ، ج١،ص١٦٠.

والمشاهد؛ لتحقيق مقصدية الواعظ التي لولا الاستعارة التي قربت المعنى الغيبي إلى المحسوس ما بلغت من التخويف ما بلغته هذه الاستعارة.

_ومثلها صيغتا الأمر والنهي في المثال التالي؛ فقد أنجزتا تحذيرًا ومنعًا وجهه الواعظ لأمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز، وأردف طلبه بحجة أولى، ثم استدرك مباشرته وصراحته في خطاب من يعلوه مرتبة سياسية إلى إيراد حجة ثانية على لسان المصطفى _صلى الله عليه وسلم_ تؤكد قوله، وتُؤمّن مرورًا سلسًا إلى قناعات المخاطب؛ إذ يكره المخاطِب إظهار انفراده بتكوين الخطاب لا سيما والمخاطَب خليفة المسلمين.

"واحذر _ يا أمير المؤمنين _ أن تحكم في عباد الله بحكم الجاهلين أو تسلك بهم سبيل الظالمين، ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين، فإنهم لا يرقبون في مؤمن إلّا ولا ذمة. فقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال: **من ولّى ظالمًا أو أعانه فقد ولّى الإسلام ظهره**"(١).

إن اللفظ (ولّى) يأتي في المعجم بمعان مختلفة، ويندرج ضمن سياقات مختلفة، وهنا أتى اللفظ حاملًا معنيين؛ الأول: بمعنى قلّد أو أسند، والثاني: بمعنى أدبر، وقد علق المعنى الثاني على الأول؛ فتولية ظالم أمور المسلمين سبب في التفريط بالإسلام، وإهماله، والتخلي عنه. وجاء هذا المعنى في الوصف (ولى الإسلام ظهره)؛إذ نقل به الإسلام إلى عالم المادة كي يتساوق مع ظهر الإنسان، فالإسلام بتولية الظالم ينتقل بفعل الاستعارة إلى المجال الإنساني، استعارة تشخيصية. وهي _أيضًا_ اتجاهية أفقية؛ فالإدبار للإسلام يعني تحويل الاتجاه من اليمين إلى اليسار، واستشعار إمكانية الإدبار للإسلام هو في حقيقته عقاب ينزل بمن يريد للإسلام التمكين والعزة مثل عمر بن عبدالعزيز؛ لذلك فإن استشعاره كاف لمنعه عما حذره الواعظ منه.

---

(١) آداب الحسن البصري ومواعظه وزهده، ص ١١٢.

٣.الحجة بالأخير، وتظهر صريحة في حين يختفي الطلب، وهذا النوع من أكثر الأنواع أدبية :

فيما سبق انعقد الطلب انعقادًا صريحًا تُظهره صيغتا الأمر والنهي، لكنه جاء بالحجة في آية؛ مما جعل التسليم به وله أمرًا مقبولًا، لا سيما وقد دخل الخوف قلب المتلقي، فاستجابته صارت ملزمة. أما فيما يلي من مواعظ نلحظ اندساس الطلب؛ فالمتكلم في حالات كثيرة يتحفظ من الطلب المباشر، ولا يلجأ إليه، بل يعمد إلى طرق ملتوية وخفية لحمل مخاطبه على إنجاز عمل ما، وله في تحفظه دواع ودوافع، وهذا من أصعب الأفعال القولية، وأعلقها بالدراسة الأدبية؛ مثل الموعظة التالية التي اعتمد فيها المخاطب على تقديم مسلمات يعتقد في صحتها المخاطب، ثم جاء بالحجة دون إفصاح بالطلب.

" يا ابن آدم إن لك قولًا وعملًا، فعملك أحق بك من قولك، وإن لك سريرة وعلانية، فسريرتك أولى بك من علانيتك، وإن لك عاجلًا وعاقبة، وعاقبتك أحق بك من عاجلتك.

ابن آدم إن الله سبحانه وتعالى يقول :{**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ**}[فاطر، آية١٠]"(١)

الاستعارة في (يصعد) والصعود لا يكون ماديًا، والكلمة لا تصعد صعودًا ماديًا، لكنه نقلها إلى مجالي المادة والتشخيص؛ ليحقق بهذا النقل صورة الصعود، يقول الشريف الرضي في استظهار الاستعارة "وهذه استعارة وليس المراد أن هناك على الحقيقة شيئًا يوصف بالصعود، ويرتقي من سفال إلى علو، وإنما المراد أن القول الطيب والعمل الصالح متقبلان عند الله _عز وجل_ واصلان إليه سبحانه، بمعنى أنهما يبلغان رضاه وينالان زلفاه، وأنه تعالى لا يضيعهما ولا

(١) آداب الحسن البصري ومواعظه وزهده، ص ١٢٥ .

يهمل الجزاء عليهما، وهذا كقول القائل لغيره قد ترقى إلى الأمير ما فعلته أي بلغه ذلك على وجه وعرفه على حقيقته، وليس يريد به الارتقاء الذي هو الارتفاع وضده الانخفاض "[1].

أشار مفسرو القرآن للمجاز في هذه الآية، واتفقوا على وجوده، لكن خلافهم كان بشأن آلة الصعود أو وسيلته وكنهه الصاعد؛ فهل العمل الصالح هو ما يرفع الكلمة الطيبة، أم أن الكلمة الطيبة (التوحيد) هي الرافعة للعمل الصالح. والحسن البصري في تفسيره جاء بمقدمة تمثل سياقًا لغويًا يفيد في استظهار المقصدية؛ قال فيها: (إن لك قولًا وعملًا فعملك أحق بك من قولك)،فجعل العمل أحق بالمرء من القول، ثم جاء بالآية حجة شاهدة على مقدمته، فالسياق اللغوي أظهر مقصدية الاستعارة؛ فهو يرى وإن لم يصرح بذلك أن العمل الصالح يرفع الطيب من القول، وهذا الارتفاع للقول الطيب هو أعظم ما يُثاب به صاحب العمل الصالح.

٤.وقد تأتي الحجة والطلب من القرآن الكريم ويكتفي الواعظ بتفسيرها :

"وقرأ [الحسن قوله تعالى]: { **وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ** }.[البقرة:٢٨١]ثم قال : أواه أي موعظة وعظ الله سبحانه عباده لو كانوا قابلين؛ وقرأ : {**أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ**}[البقرة: ٢٦٦]."[2]

---

(٢)الشريف الرضي، محمد بن الحسين، (د.ت)، تلخيص البيان في مجازات القرآن، تحقيق تقديم د. علي محمود مقلد، د.ط، بيروت، لبنان، منشورات دار مكتبة الحياة، ص٢٥٠.

(٢) آداب الحسن البصري ومواعظه وزهده، ص ٩٦.

ثم قال الحسن: هذا مثل ضربه الله لعباده انتفع به وأبصره من أراده برشاده؛ يقول الله سبحانه: مثل الرجل إذا كبرت سنه، ورق عظمه، وكثر عياله، واحتاج لزرعه؛ فأحرقته النار أحوج ما كان إليه، كمثل ابن آدم، يقوم يوم القيامة وهو عريان ظمآن فقير إلى ما قدم من عمل صالحت وهم أنه له؛ فوجده قد أذهبته التبعات وأسقطته الخطايا أحوج ما كان إليه، وأعظم ما كان رجاء أن يعود نفعه عليه.

وقد شرح الواعظ استعارة العقاب التي جاءت في القرآن الكريم، وتستهدف كل من أراد بعمل الخير غير الله _عز وجل_ فينفق ماله رياء الناس، لا طلبًا لرضى الرحمن؛ فتذهب نفقته هباء .. وحققت هذه الآية مقصدية تحول الأماني إلى سراب، فلو أُتي بالمعنى المباشر: يمحق الله أجر كل مرائي، لما تحقق هذا التحول في المعنى، فمن السعادة والاطمئنان إلى التبدد والضياع، والاستعارة هنا تمثيلية نقلت صورة أموال المرائي من مجال مجرد(الضياع وقت الحاجة في عالم غيبي) إلى مجال مادي يفهمه المتلقي (الأرض الطيبة تحترق وقت الحاجة).

المبحث الثاني

حجاجية استعارات الثواب والعقاب المُنشأة إنشاء قوليًا في خطاب الواعظ

وقوامها الاعتماد على حجج من إنشاء الواعظ، يسوق فيها استعارات الثواب والعقاب؛ وقوله وإن غاير النص الديني لفظًا فقد وافقه معنى، وعكس تمثله الراسخ لما جاء به الدين الإسلامي الحنيف من مبادئ وتعاليم، حتى عندما يأتي بأقوال لعيسى أو لموسى _عليهما السلام_ فإنه يأتي بما يتوافق مع المنهج الإسلامي، مؤكدًا إيمانه بخروج كل هذه الأديان من مشكاة واحدة.

يقول عن علاقة الدنيا بالآخرة: "ابن آدم! إن لك عاجلة وآجلة فلا تؤثرن عاجلتك على آجلتك فتندم، واعلم إنك إن تبع دنياك بآخرتك تربحهما وإن تبع آخرتك بدنياك تخسرهما"(١).

زاوج البصري في هذا المثال بين استعارتي الثواب والعقاب، فرادف بينهما وبين الربح والخسارة، وأقام المعنى على عملية البيع والشراء، أو الاستبدال التي أجلى عنها استعمال حرف الجر الباء (بآخرتك، بدنياك)،وعملية الاستبدال عملية واضحة في البنية التصورية لدى المتقبل، فالدنيا سلعة وكذلك الآخرة، وكسب أحدها يعني خسارة الأخرى، وهذا مفهوم من مفاهيم التجارة في ذلك الوقت، يقوم على إعطاء سلعة مقابل سلعة أخرى؛" الشِّرَاءُ والبيع يتلازمان، فَالْمُشْتَرِي دافع الثّمن، وآخذ المثمن، والبائع دافع المثمن، وآخذ الثّمن. هذا إذا كانت المبايعة والْمُشَارَاةُ بناضّ وسلعة، فأمّا إذا كانت بيع سلعة بسلعة صحّ أن يتصور كلّ واحد منهما مُشْتَرِياً وبائعا، ومن هذا الوجه صار لفظ البيع والشّراء يستعمل كلّ

(١) آداب الحسن البصري ومواعظه وزهده، ص٧٠.

واحد منهما في موضع الآخر. وشَرَيْتُ بمعنى بعت أكثر، وابتعت بمعنى اشْتَرَيْتُ أكثر، قال الله تعالى: وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ أي باعوه"(١).

إن مفهوم الدنيا والآخرة بكل ما يحفّهما من معان مجردة غيبية أو ملموسة مادية اختُصرت في نقلها لمجال البيع والشراء المجال المصدر لهذه الاستعارة؛ فقرَّب المعنى، وجعل فهمه متاحًا، والاقتناع به مُسوغًا، فالعملية التي قامت عليها الأديان والقوانين البشرية والربانية ليست أكثر من عملية اختيار؛ فإما أن تتخلى عن دنياك لتظفر بآخرتك ويكون لك الفوز أو العكس، وعلى هذا النحو في بناء الاستعارات حجاجيًا تمكّن من تحقيق مقصديته التي تتلاءم مع الخطاب الوعظي الموجه إلى أبسط الناس فهمًا فضلًا عن أعمقهم فكرًا، فسهُل على المتلقي استيعاب مايربط الحياة الآخرة بالدنيا؛ وذلك عندما لامست االواقع المعيش. وربطت الاستعارة هنا بين العاجلة/الدنيا/الأرض، وبين الآجلة/الآخرة/السماء؛ فكانت الاستعارة اتجاهية تربط الأسفل بالأعلى، وقد تواترت هذه الاستعارة بكل حمولاتها الدلالية في القرآن الكريم.

_ويظهر في مدونته ترديد لفظ (القلب) داخل منطوق استعاري يستلهم النص القرآني، ويفيد من توظيفه؛ يقول: "لا تجالس صاحب هوى فيقذف في قلبك ما تتبعه عليه فتهلك أو تخالفه فيمرض قلبك"(٢).

ويقول: "عقوبة العلماء موت قلوبهم لطلبهم الدنيا بعمل الآخرة"(٣).

ويقول: "ضحك المؤمن غفلة من قلبه، وعن حماد عن حميد عن الحسن؛ قال: كثرة الضحك تميت القلب"(٤).

---

(١) المفردات في غريب القرآن الكريم، الراغب الاصفهاني، دار المعرفة، ص٢٦٠.

(٢) الاعتصام، أبو اسحق الشاطبي، تحقيق: محمد رشيد رضا، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ج١، ص ٨٣.

(٣) آداب الحسن ومواعظه وزهده، ص٧٢.

(٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الأصفهاني، مكتبة الخانجي ودار الفكر، مصر، ١٤١٦هـ، ج٢، ص١٥٢

نلحظ أن استعارة العقاب في الأقوال السالفة ركزت على القلب، بوصفه أهم أجزاء الجسد؛ بموته يموت الجسد، وبمرضه يعتل، وبحياته يحيا؛ وهذه حقيقة علمية لا مجال لنفيها، وهي إلى ذلك فكرة ثابتة في عقول البشر، أثبتتها التجارب الحياتية والعلمية، ثم جاءت الاستعارة لتقدم أسبابًا يموت منها القلب ويعتل؛ فجعلت من استثمار العلم الديني في طلب الدنيا موت للقلب، وكذلك الإكثار من الضحك، ومصاحبة أهل الهوى هلاك أو مرض للقلب.

استطاعت الاستعارة نقل المعاني المجردة بحمولاتها الدلالية إلى مصدر معلوم ومعروف لدى المتلقي، مستفيدة من الاستعمال الذي شاع لهذه المفردة في القرآن الكريم وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فالقلب هو العقل، ما أصاب العقل من شك أو كفر جيء به في الاستعمال القرآني بوصفه مرضًا للقلب؛ يقول تعالى:{**فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا**} [البقرة:١٠]، ويقول: "{**فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ**}[المائدة:٥٢]، ويقول:{**فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ**}[الأحزاب:٣٢]... وغيرها من آيات الذكر الحكيم التي دلت على أن موت القلب ومرضه هو موت للعقيدة أو انحراف عن مبادئها، أي أنه معنوي ومجاله العقل ولا علاقة له بالمرض الجسدي، وبسبب شيوع هذا الاستعمال استقر هذا المعنى في الأذهان بوصفه استعارة أنطولوجية مادية؛ فالقلب مثلما يمرض ماديا وقد يسبب الموت، يمرض ويموت معنويًا بالكفر والنفاق والفجور وما إلى ذلك من ارتكاب للمخالفات العقدية؛ فـ" المرض في الأجسام حقيقة، وفي القلوب استعارة؛ لأنه فساد في القلوب، كما أنه فساد في الحقيقة، وإن اختلفت جهة الفساد في الموضعين"(١)، فكما يكره الإنسان أن يُصاب قلبه بمرض يقربه _بدهيًا_ إلى مفارقة الحياة لأنه أهم أعضاء الجسم، ويكره كذلك موت القلب الذي يعني _رسميًا_ مفارقته الحياة، فكذلك يجب أن يكون خوفه من (مجالسة

(١) تلخيص البيان في مجازات القران، ص ١١٣.

أصحاب الهوى/ أو إيثار الدنيا على الآخرة / أو كثرة الضحك) التي تميت قلبه وتمرضه، موت معنوي ومرض معنوي يوازي في شدته وبليغ أثره الموت والمرض الحقيقي الذي يخشاه الإنسان. وبهذا نتبين أن الاستعارة حاضرة في خطاب أبي الحسن البصري حضورها في الخطاب الذي يستشهد به، وهي في الحالتين تحضر يوصفها إحدى استراتيجيات الخطاب الوعظي الحجاجية، وهي مكون بنيوي تداولي للمعنى لها وظيفة إقناعية قصديتها إحداث تغيير في الأنساق الاعتقادية وفي الأنماط السلوكية.

_"وسُئل الحسن عن الحجاج؛ فقال: يتلو كتاب الله، ويعظ وعظ الأبرار، ويطعم الطعام، ويؤثر الصدق، ويبطش بطش الجبارين.

قالوا: فما ترى في القيام عليه؟ فقال: اتقوا الله، وتوبوا إليه، يكفكم جوره، واعلموا أن عند الله حجاجين كثر"(١).

جاءت الموعظة السابقة لتحقيق مقصديتين؛ الأولى: أن الحاكم حكم بعد إذن الله، وشره وخيره ينسجمان مع واقع شعبه؛ فإن أخلصوا النية والعمل لله كافأهم بحاكم عادل يسوسهم، وإن هم أهملوا أمر دينهم عاقبهم المولى بطاغية يتلاءم شره مع حالهم. الثانية: كل الذي يأتي من عند الله مقبول؛ لذا رفض الواعظ الثورة على الحجاج أو على أي حاكم آخر، وهذا الرفض ظهر في مواعظ كثيرة جادت بها المدونة، وهي نظرة تنسجم والدين الإسلامي الذي يدعو إلى الائتلاف ويندد بالفتن والفرقة.

وهاتان المقصديتان حققهما الواعظ في استعارة العقاب، التي ظهرت في قوله: (عند الله حجاجين كثر)؛ فقد تعامل مع الحجاج بوصفه مستعارًا منه، يمثل النموذج الأعلى للبطش والتجبر، فهو يمثل المجال المصدر، ونقل إليه كل حاكم سمته البطش والتجبر، وجعل الأمر بين يدي الله عز وجل؛ إن أرضيتموه رفع

(١) آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه، ص ١١٧.

عنكم شر الحجاج وغيره، وإن أغضبتموه ابتلاكم بمن يحكم فيكم ظلمًا ويبطش بكم عدوانًا؛ حتى ولو ثرتم على الحجاج فلدى الله _عز وجل_ غيره، وحاصل القول إن الحاكم انعكاس للمحكوم.

_"وكان يقول: ما اغرورقت عين بمائها من خشية الله إلا حرم الله جسدها على النار، فإن فاضت على خدها لم يرهق ذلك الوجه قتر ولا ذلة، وليس من عمل إلا وله وزن وثواب إلا الدمعة من خشية الله فإنها تطفئ ما شاء الله من حر النار، ولو أن رجلا بكى من خشية الله في أمة لرجوت أن يرحم الله تعالى ببكائه تلك الأمة بأسرها"(١).

في سياق حديث الحسن عن ثواب من دمعت عينه من خشية الله تعالى جاء باستعارة؛ فقال: (تطفئ ما شاء الله من حر النار)، والاستعارة في قوله (تطفئ) ففعل هذه الدموع هو فعل الماء إذا أصاب النار، إن نار جهنم نار شديدة التوهج تزيد قوتها على نار الدنيا أضعافًا مضاعفة مثلما جاء وصفها في القرآن الكريم، وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك فإن هذه القطرات القليلة التي تذرفها عينا المؤمن الصادق من خشية الله تعالى قادرة على إطفائها؛ فالاستعارة نقلت فضل البكاء من مجاله المجرد إلى مجال يعرفه المتلقي على سبيل الاستعارة المفهومية، وحققت مقصدية الخطاب التي تُعلي من قيمة ذرف دموع الخشية من الله تعالى.

والمتأمل في مدونة الحسن البصري يلحظ قلة استعارات الثواب، وهي قلة يسوغها؛ تقبل النفس لكل ما يحمل معنى الثواب دون حاجة لاستعارة تمررها أو ترفع درجة الاقتناع بها، يكفي أن يقول الواعظ الجنة حتى تنفتح أسارير الموعوظ؛ فيذعن راضيًا، وينقاد للخطاب الوعظي مستسلمًا خاضعًا لكل ما جاء فيه، على النقيض من معاني العقاب؛ فإنها تحتاج حججا تترى ليتقبلها المتلقي،

(١) آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه،ص١٢٥.

ومهما يكن فإن حضور العقاب يفرض بالضرورة وجود ثواب، وإن لم يكن ظاهرًا على سطح الخطاب، فوجوده الضمني أمر لا خلاف عليه.

المبحث الثالث

حجاجية استعارات الثواب والعقاب بأفعال الواعظ لا بأقواله

ولم يقف الأمر عند الحسن البصري على الحجج القولية وما يتخللها من استعارات مثلت آلية الإقناع والتأثير، بل إنه كثيرا ما عمد إلى حجج بالفعل، فاحتج بأفعاله مثلما احتج بأقواله وبما استعار من قول القرآن الكريم وأقوال الرسول صلّى الله عيه وسلم. ولئن لم ترد هذه الحجج في خطاب الواعظ نفسه بل جاءت في الأخبار التي وثّقت سيرته، فإن هذا لا ينقض مبدأ اعتبارها حججا فعلية أنشأها الواعظ إنشاءً بالفعل لا بالقول؛ ومن نماذج الحجج الفعلية القائمة بدورها على تفعيل الاستعارة بفعل الحسن ما جاء في الخبر التالي:

" واتصل به أن رجلا اغتابه، فبعث إليه بطبق فيه رطب، وقال: أهديت إلي باغتيابك لي حسناتك، فكافأتك عليها، فاستحيا الرجل، ولم يعد يذكره بسوء"[1].

بؤرة الاستعارة هنا تتمثل في "حسناتك"، فالحسنات لا تُهدى لكن الاستعارة نقلتها بفعل الاستعارة المادية إلى عالم الحواس، وجاءت الهدية لتنجز خروجها من عالم المجرد إلى عالم المادّة، إن إيمان الواعظ الحق باستحقاقه حسنات المغتاب جعله يرسل طبق الرطب؛ محققًا بموعظته غايته من تأكيد قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إنَّ المُفلسَ من أُمَّتي مَن يأتي يومَ القيامةِ بصلاةٍ وصيامٍ، وزكاةٍ، ويأتي وقد شتَم هذا، وقذَفَ هذا، وأكلَ مالَ هذا، وسفكَ دمَ هذا، وضربَ هذا، فيُعْطَى هذا من حَسناتِه، وهذا من حسناتِه، فإن فَنِيَتْ حَسناتُه قبلَ أن يُقضَى ما عليهِ، أُخِذَ من خطاياهم، فطُرِحَتْ عليهِ، ثمَّ طُرِحَ في النَّارِ"[2]. إن ما

---

(١) آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه ، ص٣٤.

(٢) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، دار الوطن للنشر، الرياض ، ١٤٢٦هـ، (٢/٥٢٧-٥٣٠).

فعله الإمام البصري هنا ساعد _ إضافة إلى مواقف كثيرة رصدتها عنه كتب السيرة والتاريخ _ في رسم صورة الواعظ الحق، الذي يؤمن بما يقول، ويصدق قولَه فعلُه؛ فاجتمعت في هذه الموعظة حجة الاستعارة بالفعل وحجة الإيتوس(Ethos)، مما بوأها أعلى درجات الإقناع والتأثير ورأس السلم الحجاجي. "قيل لعبدالواحد صاحب الحسن: أي شيء بلغ الحسن فيكم إلى ما بلغ، وكان فيكم علماء وفقهاء؟ فقال: إن شئت عرفتك بواحدة أو اثنتين، فقلت: عرفني بالاثنتين؛ فقال: كان إذا أمر بشيء أعمل الناس به، وإذا نهى عن شيء أترك الناس له، قلت: فما الواحدة ؟ قال لم أر أحدا قط سريرته أشبه بعلانيته منه"(١).

إن رسم صورة أخلاقية للذات الواعظة، وتشكيلها بالطريقة التي تؤهلها لأن تكون رمزا، يؤتي ثماره في هذا النوع من الخطابات؛ إذ يسهم في تحقيق مصداقية الخطاب، ويمثل داعما لا يُستهان بأثره في دعم قوة الخطاب الإقناعية، بجعلها جامعة بين الاستراتيجية الحجاجية والبناء الجمالي، وكل خطاب يحتاج إلى نوع من الإيتوس(Ethos) كي يحقق نجاعته، ولأن الخطاب هنا وعظي، يندرج ضمن سعي الواعظ نحو الحفاظ على الدين، وتجديد الصلة التي تربط بين المتلقي وعقيدته، وانتزاع الانصياع ببث الخوف من العقاب؛ كان الإيتوس(Ethos) تجسيدا لأخلاق المؤمن الحق الذي يتقي الله وترتعد فرائصه خوفا من عقابه، فظهرت صورة الذات في الخطاب بأقوال وأفعال تنقل البشري من عالمه إلى عالم القيم الإيمانية على سبيل الاستعارة الإنطلوجية، وباتجاه يسمو بالواعظ من مكانه إلى مكان عالٍ على سبيل الاستعارة الاتجاهية. فالمتكلم لا يصبح مقنعًا بسبب أفكاره ومنطقه فقط، بل –أيضًا– بسبب الصورة التي يرسمها لنفسه.

---

(١) آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه، ص ٣٠.

وهذه الإستراتيجية تحدث عنها أرسطو، وأسماها الإيتوس(Ethos)، وجعلها قصرًا على أخلاق الخطيب التي يعكسها الخطاب لا ما عُرف عنه واشتهر به، ثم جاءت النظريات الحديثة لتجعل من الإيتوس(Ethos) بشقيه؛ الظاهر منهما في الخطاب أو ما وصِف به الخطيب يمثلان حجة تزيد في قوة الاقناع(١)، وزادوا على ذلك فجعلوا للمتلفظ ذاتين: حقيقية، وأخرى يُظهرها الخطاب، وربطوا بينهما باستعارة تنقل القائل من مجاله إلى مجال آخر أراده، و"بتعبير رولان بارت؛ فالإيتوس(Ethos) من الصفات الشخصية التي يُظهرها الخطيب/ الشاعر هنا لجمهوره؛ إذ يقدم معلومات، وفي الوقت نفسه؛ يقول: هذا أنا ولست ذاك، وحسب دومنيك مانغينيو: فإيتوس المتكلم يرتبط بممارسته للقول، وبالدور الذي يربطه بخطابه، وليس بالفرد (الحقيقي) وباستقلال عن مصلحته الخطابية؛ أي موضوع التلفظ الذي يقوم بتلفظه هو الذي يحدد هذه الذات"(٢)، فالمتكلم يخلق ذاتًا أخرى عبر قوله أو فعله، وينقل إليها نفسه على سبيل الاستعارة.

ولأنني هنا بصدد الحديث عن الاستعارة بالفعل؛ فسأرصد ردة فعل الواعظ إزاء بعض ما يسمعه أو يدركه مما نُقل عنه ووصف به؛ مما يُشكل الصورة التي رُسمت له باستخدام الاستعارة؛ من مثل: "قيل قدم للحسن _رحمه الله_ عشاؤه فلما بدأ يأكل منه، سمع قارئا يتلو: {**إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا (١٢) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا**}[المزمل:١٢]؛ فقال: يا جارية ارفعي عشاءك، وما زال يردد الآية، ويبكي بقية ليلته"(٣).

---

(١) انظر: الحجاج الخطابي أسسه وتقنياته من خلال ثمرات الأوراق لابن حجة الحموي، محمد الناصر كحولي، دار زينب للنشر والتوزيع، تونس، ٢٠١٧م، ص٢٢٠.

(٢) المصطفى فاتح ، ٢٠٢١، التخييل وبناء الدلالة : ثلاثة مفاتيح لقراءة ديوان جاؤوا لنقص في السماء لعبدالحميد جماهيري ، الاتحاد الاشتراكي .

(٣) آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه، ص٩٦.

"وقيل له يومًا: كيف أصبحت يا أبا سعيد؟ فقال: والله ما من انكسرت به سفينة في لجج البحر بأعظم مني مصيبة، قيل: ولم ذلك ؟ قال: لأني من ذنوبي على يقين، ومن طاعتي وقبول عملي على وجل، لا أدري أقبلت مني، أم ضرب بها وجهي؟ فقيل له: فأنت تقول ذلك يا أبا سعيد؟! فقال: ولم لا أقول ذلك؟! وما الذي يؤمنني أن يكون الله _سبحانه وتعالى_ قد نظر إلي وأنا على بعض هناتي نظرة مقتني بها، فأغلق عني باب التوبة، وحال بيني وبين المغفرة، فأنا أعمل في غير معتمل ؟"(١)

"وقيل: حاول الحسن الصلاة ليلة، فلم تطاوعه نفسه، فجلس سائر الليلة لم ينم فيها حتى أصبح، فقيل له في ذلك، فقال: غلبتني نفسي على ترك الصلاة، فغلبتها على ترك النوم، وايم الله! لا أزال بها كذلك حتى تذل وتطاوع"(٢).

_ "قال: وسمعته يوما آخر يبكي، ويقول : أي ربِّ ! متى أؤدي شكر نعمتك التي لا تؤدى إلا بنعمة محدثة، ومعونة مجددة ؟! ما أخسر صفقة من صرف عن بابك، وضرب دونه حجابك! ثم أنشد:

إذا أنا لم أشكرك جهـــدي وطـاقتي ولم أصف من قلبي لك الود أجمعا
فلا سلمت نفسي من السقم ساعة ولا أبصرت عيني من الشمس مطلعا

ثم استغفر وبكى، وقال: القلب الذي يحب الله يحب التعب، ويؤثر النصب هيهات، لا ينال الجنة من يؤثر الراحة. من أحب سخا، من أحب، سخا بنفسه إن صدق، وترك الأماني؛ فإنها سلاح النوكي"(٣).

لقد استطاعت سيرة الحسن العطرة أن تبني صورة استعارية تكون فيها أفعال الحسن وأقواله معادلة لخلق التقوى، ويصبح الحسن بكل ما هو عليه رمزا للعابد

(١)آداب الحسن وزهده ومواعظه، ص ٢٧.
(٢) آداب الحسن وزهده ومواعظه، ص٣٠.
(٣) آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه، ص٣٣.

التقي الزاهد؛ ومنها استمد سلطة تأثيرية؛ فارتعاد الركب، والبكاء، والامتناع عن الطعام مخافة عقاب الله كلها أفعال تدفع بالمتلقي إلى قبول الوعظ منه، بل ذهب إلى أبعد من ذلك عندما قرر معاقبة نفسه التي باعدت بينه وبين قيام الليل فحرمها النوم.

أكدت أقوال الحسن البصري رحمه الله، وأفعاله، وما رُوي عنه، وما وصف به ابتداؤه بنفسه؛ وهذا حري بتقبل الوعظ منه، وتسليم العقل له، والاحتذاء حذوه، بدأ بنفسه فلم يقل ما يخالف اعتقاده أو فعله؛ فكان بما هو عليه حجة سلطة ترفع من قيمة الخطاب، وأسهم وضعه الاجتماعي والواقعي وسيرته التاريخية في التسليم له ولوعظه؛ ففاعلية الواعظ لا تقتصر فقط على خطابه، بل تتأثر بما يحيطه من معطيات خارجية، وأي شرخ في صورته سينتج خطابًا يسهل اختراقه، وتبديد حججه، ورفضه، بل قد يأتي بنتائج عكسية تدفع المتلقي لإنكار مضامين الخطاب برمتها.

الخاتمة

- تنزلت خطابات الحسن البصري الوعظية منزلة عالية مذ صدرت عنه قبل مئات السنين، وأسهمت سيرته العطرة إلى جانب توظيفه المميز للغة، وقدرته على شحذ الهمم عبر إيقاد العواطف، وفهمه العميق لروح الإسلام، وتقنياته الحجاجية الفاعلة في الخطاب، على بقاء مواعظه خالدة حتى اليوم.
- شكلت الاستعارة عامة، وفي خطاب الحسن البصري بصفة خاصّة، وسيلة للكشف عن مقاصد الخطاب، وهذا ما ألّح عليه التداوليون_ وعلى رأسهم سيرلSEARL_ في دراساتهم لوظيفة الاستعارة الحجاجية. فسيرل"لا يؤمن...بازدواجية المعنى في العبارة؛ فالجملة بحسبه لا تتضمن سوى معنى واحد، وهو المعنى الحرفي، أما المعنى الاستعاري فهو مرتبط بالتلفظ أي بمقصد المتكلم، فالاستعارة في تصور (سيرل) لا ترتبط بمعنى الجملة بل ترتبط بمعنى المتكلم، فطبيعة الاستعارة لملفوظ ما تعود إلى قصدية المؤلف واختياره؛ ولهذا السبب فإن تأويل الاستعارة مرتبط بقرار صادر عن قصدية المتكلم"[(١)]؛ وعليه فالاستعارة تحول دلالي، تحيي اللغة، وتعيد تشكيلها بما يتناسب مع سياقات الخطاب ومقاصده؛ لذلك فهي قادرة على اختراق العقول واستدراجها أكثر من أي وسيلة بلاغية أخرى، وهي حاضرة في الخطاب العادي والأدبي،وقد تعددت وسائل درسها وشرحها بتعدد مناهج النقد قديمها وحديثها، لكنها جميعا تتفق على أهميتها في إيصال ما لا يستطيع الخطاب المجرد منها

(١) أمبرتو إيكو (٢٠٠٠) التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة سعيد بن كراد، المركز الثقافي العربي، الرباط، المغرب، ص ١٥٩.

إيصاله، وقد اتفقوا على فاعليتها الحجاجية، وتعاليها على إمكانية القدح مقارنة بغيرها من وسائل الإقناع المختلفة. وتتجلى هذه الأحكام إجرائيًا من خلال ما درست من استعارات وظفها الحسن البصري في مواعظه، ما كان منها مقتبسًا من خطابات أخرى أو ما أنشأه منها إنشاءً قوليًا في خطابه، أو إنشاء فعليا ظهر في سيرته وفيما رُوي عنه. فالمعلوم أن ثنائية الثواب والعقاب تتضمن تهديدًا يتنافى وسمة اللين التي يستلزمها الخطاب الوعظي؛ إلا أن البصري وظف الاستعارة، بما تختص له من طالع جمالي، حجاجيًا ليحمل المتقبلين بلين على الاقتناع بعواقب الإهمال العقدي، وعلى الاعتقاد في صدقية أطروحته، ومن ثم التأثير فيهم حتى يعدِّلوا سلوكهم بما ينسجم مع أطروحته. ومن هنا جاء حضور الاستعارة في الخطاب الوعظي ناجعًا ومناسبا لمقاصده. وهذا يفسر كثرة استعارات العقاب مقارنة باستعارات الثواب؛ فاستعارات العقاب قاربت الخمسين استعارة بينما بلغت استعارات الثواب الثلاثين كحد أعلى، علاوة على مجيئها _في معظم الشواهد_ وقد اقترنت بالعقاب؛ فكانت بمنزلة التوطئة التي تخفف من ثقل ذكر العقاب، واجتماعهما معًا في خطاب واحد أظهر عدالة، رفعت درجة التقبل؛ إذ لكل فعل رد فعل يناسبه.

- أما عن التوصيات؛ فالدراسة تكشف عن الآفاق الواسعة التي يفتحها الدرس اللساني والبلاغي الحديث أمام نصوص تراثنا، وما يمكن أن يمنحها من قدرة على التجدّد، وعلى القيام بالأدوار المطلوبة منها مع تجدد الأزمان وتواتر الأجيال. فالمقاربة التداولية الحجاجية للخطاب

الوعظي، _وهو من الأصناف الخطابية ذات الحضور اللافت في تراثنا الأدبي_ تكشف وعي العرب الإجرائي _منذ قرون_ بما أثبته الدرس الحجاجي الحديث _نظريًا_ من نتائج تخص الوظيفة الحجاجية للاستعارة، وما تملكه من قدرة على تحويل الأفعال القولية إلى أعمال فعلية، ومما يكتنفها من طاقة تأثيرية تحمل المتلقي على الاقتناع؛ فيعمل على تغيير اعتقاداته وسلوكاته بما يتناسب مع مقصدية الواعظ، ومن المؤكد أن هذه المقاربات الجديدة في مختلف الاختصاصات الدراسية قادرة _إذا ما أحسنّا توظيفها_ على أن تدفعنا نحو اكتشاف المزيد من نصوصنا التراثية، وأن تكشف ما فيها من كنوز ومآثر.

المصادر والمراجع

المدونة:

ابن الجوزي، الإمام جمال الدين أبي الفرج، (٢٠٠٨م)، آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه، تحقيق: سليمان الحرش، ط٣، سوريا–لبنان، دار النوادر.

المصادر والمراجع :

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي، (١٤٠٩هـ)، كتاب القصاص والمذكرين، المحقق: محمد لطفي الصباغ، ط٢، بيروت، المكتب الإسلامي.

ابن فارس، معجم مقاييس اللغة.

الأصفهاني، أبو نعيم أحمد بن عبدالله، (١٤١٦هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء،د.ط،مصر، مكتبة الخانجي ودار الفكر.

الأصفهاني، الراغب، د.ت، المفردات في غريب القرآن الكريم،د.ط، تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني، بيروت، دار المعرفة.

أوكان، عمر، (٢٠٠١م)، اللغة والخطاب، د.ط، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق.

أوليفي، روبل، (٢٠١٧م)، مدخل إلى الخطابة، ترجمة: رضوان العصبة، مراجعة: حسان الباهي، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق.

إيكو، أمبرتو، (٢٠٠٠م)، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة سعيد بن كراد، ط١، الرباط، المركز الثقافي العربي.

بهلول، عبدالله، (٢٠١١م)، الوصايا الأدبية إلى القرن الرابع هجريا مقاربة أسلوبية حجاجية، ط١، بيروت، الانتشار العربي.

التوجاني، زينب: الثواب والعقاب في كتب تفسير القرآن، الرباط، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، ٢٠١٩

الجرجاني، عبد القاهر، (١٤٢٨هـ)، أسرار البلاغة، د.ط، اعتنى به مصطفى شيخ مصطفى وميسر عقاد، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة ناشرون.
الجرجاني، علي بن محمد، (١٤٠٥هـ)، التعريفات، ط١، بيروت، دار الكتاب العربي.
الخبو، محمد، (٢٠٠٢م)، قراءات في القصص، د.ط، صفاقس، تونس، مكتبة علاء الدين.
رمضان، فرج، (٢٠٠٧م)، الدراسة الأدبية للكرامة الصوفية: أسسها، إجراءاتها، رهاناتها، ط١، صفاقس، مطبعة سوجيك.
السفياني، عبدالله بن رفود، (٢٠١٤م)، الخطاب الوعظي مراجعة نقدية لأساليب الخطاب ومضامينه (دراسة استطلاعية)، ط١، بيروت، مركز نماء للبحوث والدراسات .
الشاطبي، أبو اسحق إبراهيم بن موسى، د.ت، الاعتصام، د.ط، تحقيق: محمد رضا، مصر، المكتبة التجارية الكبرى.
الشبعان، علي، (٢٠٠٨م)، الحجاج بين المنوال والمثال نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري، ط١، تونس،مسكيلياني للنشر.
الشريف الرضي، محمد بن الحسين، (د.ت)، تلخيص البيان في مجازات القرآن، تحقيق تقديم د. علي محمود مقلد، د.ط، بيروت، لبنان، منشورات دار مكتبة الحياة.
صولة، عبدالله، (٢٠٠٧م)، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ط٢، بيروت، لبنان، دار الفارابي.
عبدالرحمن، طه، (١٩٩٨م)، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط١، الرباط، المغرب، المركز الثقافي العربي.

العثيمين، محمد، (١٤٢٦هـ)، شرح رياض الصالحين، د.ط، الرياض، دار الوطن للنشر.

العزاوي، أبو بكر، (٢٠٠٩م)، اللغة والحجاج، د.ط، بيروت، لبنان، مؤسسة الرحاب الحديثة.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله، (١٩٨٦م)، الصناعتين، تحقيق : علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم،د.ط، بيروت، لبنان، منشورات المكتبة العصرية.

العلوي، يحيى بن حمزة، (١٤٢٣هـ)، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ط١، بيروت، المكتبة العنصرية.

الفيومي، أحمد بن محمد، (١٩٨٧م)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، د.ط، بيروت، مكتبة لبنان.

القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، (١٩٦٤م)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، القاهرة، دار الكتب المصرية.

كحولي، محمد الناصر، (٢٠١٧م)، الحجاج الخطابي أسسه وتقنياته من خلال ثمرات الأوراق لابن حجة الحموي، ط١،تونس، دار زينب للنشر والتوزيع.

لسان العرب ، ابن منظور.

لوجيرن، ميشيل، (١٩٩١م)،"الاستعارة والحجاج"، مجلة المناظرة، (عدد٤)، (ص٨٥-٩٠).

المصطفى، فاتح ،(٢٠٢١/٤/١٦م)، "التخييل وبناء الدلالة : ثلاثة مفاتيح لقراءة ديوان جاؤوا لنقص في السماء لعبدالحميد جماهيري"، الاتحاد الاشتراكي، صحيفة إلكترونية.

مطلوب، أحمد، (١٩٨٩م)، معجم النقد العربي، ط١، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة وزارة الثقافة والإعلام العراقية.

المناوي، محمد عبدالرؤوف، (١٤١٠هـ)، التوقيف على مهمات التعاريف، ط١، بيروت، دار الفكر.
النسفي، أبو بركات عبدالله بن أحمد، (١٤١٩هـ)، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، حققه: يوسف علي بدوي، ط١، بيروت، دار الكلم الطيب.
الوردي، محمد، (٢٠١٧م)، "الحجاج العاطفي في كتاب التوهم للحارث المحاسبي"، فكر العربية، المجلد:٢،(العدد٤-٥)، (ص٧٥-٨٦).
***